جامعة المنصورة
كليـة الآداب

الهمزة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في كِتابِ العَيْن
دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم الأصوات الحديث

إعـــداد

نازك نبيل محمد عزام

أستاذ النحو المساعد في قسم اللغة العربية

الجامعة الهاشمية- الزرقاء- المملكة الأردنية الهاشمية

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد السابع والسبعون – أغسطس ٢٠٢٥

الهمزة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في كِتابِ العَيْن
دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم الأصوات الحديث

نازك نبيل محمد عزام

أستاذ النحو المساعد في قسم اللغة العربية

الجامعة الهاشمية– الزرقاء– المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث

يهدف البحث إلى إبراز قوة الجانب الصوتي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، في ضوء علم الأصوات الحديث، بتتبع القضايا الصوتية المتعلقة بالهمزة في كتابه العين، ثم تصنيفها حسب موضوعاتها الصوتية في مجموعات، تجمع كلاً منها صفة مشتركة، وتُدرج ضمن ظاهرة صوتية معينة، مع الاستئناس بآراء بعض علماء اللغة المتقدمين في تصانيفهم المشهورة للظواهر، ومن ثم معالجة تلك القضايا في ضوء علم الأصوات الحديث، والاستفادة من نظرياته في وصف تلك المسائل التي أشار إليها الخليل، من خلال دراسة الظواهر الصوتية دراسة فونولوجية، لتوضيح أثر العوامل التي أدت إلى ذلك التغيير، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: *الأصوات– الهمزة – الفراهيدي– تحقيق الهمزة – تخفيف الهمزة – حذف الهمزة.*

Abstract

The research aims to highlight the strength of the phonetic aspect in the works of Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi, in light of modern phonetics. This is done by examining the phonetic issues related to the hamza in his book "Al-Ain," categorizing them based on their phonetic themes into groups that share common characteristics. The study also draws on the opinions of some advanced linguists in their famous classifications of phonetic phenomena. Furthermore, it analyzes these issues in the context of modern phonetics, utilizing its theories to describe the phonetic changes referenced by Al-Khalil. to clarify the impact of factors leading to such changes. This is achieved through an analytical descriptive method.

Keywords: Sounds - Hamza - Al-Farahidi - Hamza realization - Hamza reduction - Hamza deletion.

مقدمـــــة

يعدّ معجم العين أول معجم عربي يؤلف في اللغة العربية، استند في منهجه وترتيب مادته إلى أساس صوتي؛ فالأصوات في معجم العين نالت من الخليل(١٧٠/ ١٧٥هـ) عناية كبيرة؛ إذ أشار في مقدمته إلى كثير من القضايا الصوتية، ثمّ بثّ آراءه فيها وفرّقها في ثنايا كتابه.

يهدف البحث إلى تتبع القضايا الصوتية المتعلقة بالهمزة في كتاب العين، والكشف عن قوة الجانب الصوتي عند الخليل، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، في تتبع آراء الخليل الصوتية المتعلقة بالهمزة، ثم تصنيف هذه الآراء حسب موضوعاتها الصوتية، بتجميعها في مجموعات، تجمع كلاً منها صفة مشتركة، وتدرج ضمن ظاهرة صوتية معينة، وبعد ذلك تتبع آراء بعض علماء اللغة المتقدمين في تصانيفهم المشهورة للظواهر، وبعد معالجة كل مسألة من وجهة نظر المتقدمين، يسعى البحث إلى معالجتها في ضوء علم الأصوات الحديث، والاستفادة من نظرياته في وصف تلك المسائل التي عرفتها

العربية القديمة وتحليلها، من خلال دراسة الظواهر الصوتية دراسة فونولوجية، وتفسير بعض التغيرات، وتوضيح أثر العوامل التي أدت إلى ذلك التغيير.

فاقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكوّن من أربعة مباحث وخاتمة، جُعل **المبحث الأول** لمناقشة رأي الخليل في مخرج الهمزة وصفتها، فعرض رأيه في ذلك، ثم ناقشه من وجهة نظر علم الأصوات الحديث، وبيّن العلة التي جعلت الهمزة عرضة لكثير من التغيرات الصوتية من وجهة نظر الخليل، وبالاستئناس بآراء بعض العلماء بعده. أمّا المباحث الثلاثة الأخرى فتناولت بعض مذاهب العرب في الهمزة كما وردت عند الخليل، فعرض **المبحث الثاني** ظاهرتي تحقيق الهمزة وتسهيلها. وتناول **المبحث الثالث** ظاهرة حذف الهمزة. وعرض **المبحث الأخير** ظاهرة إبدال الهمزة. وأخيراً جاءت **الخاتمة** متضمنة خلاصة ما في البحث، ومشيرة إلى أبرز النتائج التي توصل إليها.

القضايا الصوتية المتعلقة بالهمزة

تُعدّ الهمزة من أكثر الأصوات العربية عرضة للتغيرات الصوتية؛ فقد تصرفت فيها العرب بطرائق متعددة. وبتتبع مواضع ذكر الهمزة في معجم "العين"، يتضح أن الخليل قد وقف على بعض مذاهب العرب فيها، ورصدها في مواضع متفرقة، مما يعكس تنوعًا في النطق والتعامل مع هذا الصوت. وباستقراء تلك المواضع وُجِد أنّ الهمزة في العربية تأتي في صور عدة: إما مفردة؛ متحركة أو ساكنة، وإما أن تجتمع همزتان في كلمة واحدة، متفقتان في الحركة أو مختلفتان، وقد وثّق لنا الخليل في معجمه هذه الصور، مشيرًا إلى اختلاف العرب في نطقها؛ فمنهم من يحقق هذا الصوت ويسمونه النبر، ومنهم من يخففه ويلينه[١]، ومنهم من يحذفه، ومنهم من يبدله. وقد أشار إلى ذلك سيبويه في قوله: "اعلم أنّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل"[٢]

وقبل أن تخوض الدراسة في مذاهب العرب في الهمز المبثوثة في مادة العين، من الضروري أولا الوقوف على وصف الخليل لهذا الصوت، وبيان مخرجه من وجهة نظره، ثم مقارنته بما توصل إليه علم الأصوات الحديث. وينبغي أيضا تحليل الأسباب الصوتية التي جعلت الهمزة عرضة لهذا الكم من التغيّرات، وذلك من خلال فهم طبيعة هذا الصوت كما وصفه الخليل.

---

(١) "التخفيف" و"التليين" و"التسهيل" هذه المصطلحات يستخدمها علماء اللغة للدلالة على النطق بالهمزة بين الهمزة وصوت المد المجانس لحركتها، فتجعل المفتوحة بين الهمزة والألف مثلاً، وهذا ما سيرد لاحقا.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠. ٣: ٥٤١.

المبحث الأوّل: مخرج الهمزة وصفتها

بدأ كتاب الخليل بمقدمة ذكر فيها مخارج الأصوات التي اعتمد عليها في تنظيم مادته، ولعلّ ما يمكن أن يقف البحث عنده في هذا المقام هو رأي الخليل في مخرج الهمزة ووصفه لها، وبيان العلة في جعلها عرضة لكثير من التغيرات الصوتية؛ فقد ذكر في مقدمته المنهج الذي اتبعه في ترتيب مادة الكتاب؛ إذ نظر إلى أصوات العربية كلها، فتبين له أنّ أولاها بالابتداء أقصاها مخرجا، فجعل يتدبر مخارج الأصوات بحسه الصوتي؛ فوجد العين أدخل الأصوات في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثمّ ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها، فكان الترتيب على النحو الآتي: ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة. وقال في ذلك[٣]: "فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثم الهاء ولولا هَتَّة في الهاءِ، وقال مَّرة "ههّة" لأَشْبَهَت الحاء لُقْرب مَخْرَج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حَيِّز واحد بعضُها أرفع من بعض، ثم الخاءُ والغَيْن في حيِّز واحد كلَّهُنَّ حلقية، ثم القاف والكاف لهَويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيِّز واحد، ثم الصّاد والسِّين والزَّاء في حيِّز واحد، ثم الطاء والدّال والتّاء في حيزِّ واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيِّز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيّز واحد، ثم الفاءُ والباءُ والميمُ في حيِّز واحد ، ثم الألفُ والواو والياءُ في حيِّزٍ واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيِّز تُنْسَب إليه".

تكلم الخليل على مخرج الهمزة في غير موضع في الكتاب، منها ما يمكن أن يلحظ في نهاية النص المقتبس السابق، وهو قوله: "والهمزة في الهواء لم يكن لها حيِّز تُنْسَب إليه"، إذ يفهم من كلامه أنّ الهمزة ليس لها موضع نطق يمكن أن تنسب إليه، وحينما رتّب الأصوات حسب مخارجها جعلها في آخر الأصوات. ويبدو أن الخليل في ترتيبه للأصوات فصل بين الصوامت والصوائت، فاهتم بمخارج الصوامت، وأعرض عن التفكير في مخرج الصوائت، فجعلها في مجموعة واحدة بعد ما انتهى من ترتيب الصوامت، وبالتحديد بعد الأصوات الشفتانية، وأتبعها بالهمزة على اعتبار أنها أصوات هوائية ليست ذات موضع نطق، ويؤيد ذلك قوله[٤]: "في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا

([٣]) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. ط١. تحقيق د. عبدالحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م. المقدمة ١: ٤١.

([٤]) الخليل. العين. المقدمة ١: ٤١.

لها مدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ[٥]"، وفي موضع آخر يقول[٦]: "والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد، لأنّها لا يتعلّق بها شيء".

وتجدر الإشارة إلى أنّ الخليل في مواضع أخرى ذكر أنّ الهمزة صوت خلفي وأنّها تخرج من أقصى الحلق، فقال[٧]: "وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق"، وهنا يمكن التوقف عند نقطة جوهريّة وهي أنّ الخليل في تحديده لمخرج الهمزة قد فطن إلى أنّها أبعد مخرجا من صوت العين، وهذا ما أشار إليه استخدام صيغة اسم التفضيل "أقصى"، ولكنه عمد إلى تأخيرها، وجعلها في آخر الكتاب، لما تعتريه الهمزة من تغيّرات صوتيّة، وتبدلات تجعلها تشذ عن الصوامت، وتقترب من مجموعة الصوائت، إذ يقول[٨]: " وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح".

وأما موضع نطق الهمزة، فقد أثبت علم الأصوات التشريحي أنّ الحنجرة تحتوي أحد عشر غضروفًا، أبرزها عضوان غضروفيّان هما الوتران الصوتيّان، وهما اللذان يحدثان التصويت الذي يشمل الجهر والهمس، وهما موضع خروج همزة القطع أيضًا، وهذا ما يهمنا هنا؛ إذ تخرج الهمزة عند التقاء الوترين الصوتيين التقاءً تامًّا، بحيث لا يجد الهواء منفذًا من بينهما، ثمّ يفتح المجرى بابتعاد أحد الوترين الصوتيين عن الآخر، حينها تخرج همزة القطع[٩]. وهنا يمكن الإشادة بمقدرة الخليل الصوتية؛ فبحسه الصوتي استطاع أن يدرك عمق مخرج الهمزة، فعبّر عن ذلك بموضع "أقصى الحلق"، ولم يعدّها من

---

(٥) في هذا الاقتباس يشير الخليل إلى الواو والياء المديتين، وليس إلى الواو والياء الأنصاف حركات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجدر الإشارة إلى أنّ لكلٍ من الأصوات الأربعة هذه مخرجًا تنسب إليه، وهذا ممّا لا علاقة له بموضوع البحث، ولكن للفائدة انظر ما قيل عن هذه الأصوات في: مسعد. عبدالحميد عليوة. حروف العلّة دراسة لغوية. مجلة علوم اللغة. مجلد ٥، عدد ٤، ٢٠٠٢م. الصفحات ١٢٥– ١٨٢/ وانظر: استيتية، سمير شريف. الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية. مجلة البلقاء للبحوث والدراسات. مجلد٢. عدد١. ١٩٩٢م.

(٦) الخليل. العين. المقدمة ١: ٤٢.

(٧) الخليل. المرجع السابق. المقدمة ١: ٣٧.

(٨) الخليل. المرجع السابق. المقدمة ١: ٣٧.

(٩) انظر: استيتية، سمير شريف. اللسانيّات: المجال والوظيفة والمنهج. ط٢. اربد: عالم الكتب الحديث. عمان: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٨م. ص ٣٦.

الأصوات الحلقية، ولكنه أشار إلى عمق المخرج، فقد اقترب بذلك كثيرًا مما توصل إليه علم الأصوات التشريحي في العصر الحديث من أن الهمزة صوت حنجري.

وأمّا وصف الخليل للهمزة فقد بيّن من خلاله السبب الذي جعل هذا الصوت عرضة للتغيّر، وفي ذلك يقول[١٠]: "وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة، فإذا رُفِّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح". هنا يصف الخليل الهمزة بـ "مهتوتة مضغوطة"، ويا له من وصف دقيق ومذهل! فهو في هذا الوصف لا يتحدث فقط عن مخرجها الفيزيائي، إنما يُلمّح إلى طبيعتها الصوتية التي تكاد تكون انفجارًا صغيرًا من أعماق الحلق؛ إذ إن كلمة "مهتوتة" توحي بأن الهمزة ليست مجرد صوت، بل حدثٌ صوتيٌّ عنيف، أو انفجار يتطلب جهدًا عضليًا واندفاعًا في الهواء مع ضغط.

ثم في قوله: "فإذا رُفِّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"، يكشف عن حسه القوي في فهم التحولات الصوتية والتغيرات؛ فهو يرى في التخفيف انتقالًا من عالم "الصوامت" إلى عالم "الصوائت"، إضافة إلى كونه تيسيرًا في النطق، وكأن الهمزة حين تُرفّه عنها، تتخلى عن كونها "مهتوتة مضغوطة" وتتحول إلى شيء أكثر نعومة، أكثر قربًا من النفس والهواء.

وفي موضع آخر يقول[١١]: "الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رفّه عن الهمز صار نفسا". هنا يرى الخليل أن التخفيف يجعل الهمزة أقرب إلى مجرد زفير أو هواء يخرج دون ضغط أو مقاومة. وهذا ما يفسر ميل بعض القبائل إلى تخفيف الهمزة أو تليينها، أو حذفها؛ لأن النطق بها "محققة" فيه ثقل كما أشار الخليل.

فالمتتبع لوصف الخليل لهذا الصوت يجده يقدم وصفا دقيقا لما نعرفه اليوم عن الهمزة في علم الأصوات الحديث، رغم أنه لم يكن يمتلك أجهزة تسجيل، أو تحليل طيفي، كان يمتلك أذنا لغوية خارقة، وحسًّا قويا بالصوت، الأمر الذي جعله يربط بين النطق والهواء، وبين اللغة والطبيعة البشرية التي تميل إلى التيسير، فيجعلك تُدرك لماذا خفّفها بعض العرب، ولماذا أصرّ آخرون على تحقيقها.

---

(١٠) الخليل. العين. المقدمة ١: ٣٧

(١١) الخليل. المرجع السابق. باب الهاء (هـ. ت. ت) ٤: ٢٨٩.

استنادا إلى ما تقدم، يتضح من كلام الخليل أنّ الهمزة عرضة لكثير من التغيرات الصوتية لبعد مخرجها، وثقلها، وهذا ما استقر عليه علماء اللغة من بعده، فابن يعيش (٦٤٣هـ) يقول[١٢]: "اعلم أنّ الهمزة حرفٌ شديدٌ مستثقل، يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع، فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس، قالوا لأنّ الهمزة حرفٌ فوجب الإتيان به كغيره من الحروف، وتخفيفها بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين". هنا يقدم لنا ابن يعيش وصفًا دقيقًا لصوت الهمزة من حيث مخرجه وصفته، ويُبرز سببًا جوهريًا وراء التغيرات التي تطرأ عليه في لهجات العرب، وهو الشدّة والثقل؛ إذ تُوصف الهمزة بأنها "شديدة مستثقلة"، أي أن نطقها يتطلب جهدًا عضليًا أكبر إذا قورنت بأصوات أخرى، وهذا بسبب بعد مخرجها -- من أقصى الحلق كما أشار الخليل، وهو أعمق نقطة في الجهاز الصوتي، مما يجعل النطق بها أقرب إلى حركة التهوع، كما أشار ابن يعيش. ثم بعد ذلك يأتي التخفيف كاستجابة طبيعية، بسبب هذا الثقل، لذلك لجأت بعض القبائل إلى تخفيف الهمزة، وكان ذلط بطرائق متعدد؛ فمنهم من حولها إلى صوت آخر، ومنهم من لجأ إلى حذفها، ومنهم من جعلها "بين بين" أي بين الهمزة الصريحة والصوت اللين، .. الخ. وهذا التوجه وجدناه في لهجة قريش وأهل الحجاز، فقد كانوا يميلون إلى التخفيف، حتى بدت علامة فارقة فقيل: قريش لا تهمز.

أما التحقيق فما هو إلا تمسك بالأصل، وقد بيّن ابن يعيش في النص المقتيس أن قبائل تميم وقيس تمسكت بـ"تحقيق" الهمزة، أي النطق بها كاملة دون تخفيف، انطلاقًا من أن الهمزة حرف، ويجب الإتيان به كما يُؤتى بسائر الحروف، دون تمييز أو تيسير.

المبحث الثاني: تحقيق الهمزة وتسهيلها بين لهجات العرب

تحقيق الهمزة أو نبرها هو عملية نطق للهمزة من مخرجها في الحنجرة؛ وذلك بانطباق الوترين الصوتيين بشكل كامل، مما يؤدي إلى انسداد مجرى الهواء هنيهة، في تلك اللحظة، يتوقف الهواء عن السيرورة، فلا يجد له منفذًا من بينهما، ثم يفتح المجرى فجأة بابتعاد الوترين الصوتيين عن بعضهما، أو أحدهما عن الآخر، فيحدث انفجار ويخرج صوت الهمزة المحققة[١٣]، المعروف بـ "همزة القطع". وهذا

(١٢) ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء. شرح المفصل. القاهرة: دار الطباعة المنيرية. ٩: ١٠٧.

(١٣) انظر: استيتية. اللسانيات. ٣٦.

الوصف يتفق وما ذهب إليه علماء الأصوات المعاصرون في تعريفهم لهذا الصوت، باعتباره صوت حنجري وقفي ناتج عن انغلاق مفاجئ في موضع النطق -- الوترين الصوتيين[١٤].

وقد اعتمدت العربية الفصحى، في انتقائها من لهجات العرب، هذا النمط من النطق، المعروف بلهجة تميم، وهي إحدى قبائل وسط الجزيرة العربية التي اشتهرت بتحقيق الهمز في كلامها.

في المقابل، نجد نمطًا آخر في نطق الهمزة يعرف بـ **التسهيل**، أو "همزة بين بين"، أو ما يشار إليه في كتب القراءات بالتليين أو التخفيف، وفيه تنطق الهمزة دون أن ينغلق الوترين الصوتيين انغلاقا تاما، بحيث يُترك بينهما فراغ بسيط يسمح بمرور الهواء، بطريقة أشبه بالتضييق في المخرج، فيخرج صوت الهمزة بشكل أكثر سهولة، دون ذلك الانفجار الحاد الذي يميز "التحقيق". حينها تكون الهمزة مسهلة[١٥]. وهذا النوع من النطق كان شائعًا لدى القبائل الحجازية، وعلى رأسها قريش، التي ارتأت تسهيل الهمزة تخفيفا لمشقة النطق بها. وقد أشار البحث سابقا إلى وصف الخليل الذي يبين صعوبة النطق بها لبعد مخرجها وثقلها.

هذا التفاوت بين التحقيق والتسهيل، يبرز لنا اختلاف اللهجات في نطق الهمزة، ويبين كيف أن العربية تتيح شيئا من المرونة في التعامل مع أصواتها، فمن أراد الأصل حقق، ومن أراد الميل إلى السهولة خفف.

وقد بيّن الخليل في بعض المواضع التي يعرض فيها كلمات مهموزة، ميلَ بعض القبائل إلى التسهيل أوالتخفيف؛ فيجعلون الحرف بين الهمز والياء أو الواو، وهذا ما سماه العرب بهمزة بين بين[١٦].

وبتتبع المواضع التي أشار فيها الخليل إلى تسهيل الهمزة، يُفهم أنّ تسهيل الهمز أو ما أشير إليه بلفظ التخفيف" يعني: إبقاء الهمزة ولكن بلفظها أو النطق بها بين الهمزة وصوت المد المجانس لحركتها، إلا أنّ الدرس الصوتي المعاصر يرى خلاف ذلك؛ فقد وقف علماء الأصوات المحدثون على حقيقة

---

(١٤) انظر: بشر، كمال. علم اللغة العام– الأصوات العربية. القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧. ص ٦٩.

(١٥) انظر: استيتية، اللسانيات. ٣٧. وانظر: العزام، نازك نبيل. توجيهات الأزهري للظواهر الصوتية في القراءات القرآنية_ كتاب القراءات وعلل النحويين فيها أنموذجا. رسالة ماجستير في جامعة اليرموك، ٢٠١٠م. ص ٢١.

(١٦) انظر: سيبويه. الكتاب ٣: ٥٤١–٥٤٢

التخفيف، أو ما يعرف بالتسهيل، من الناحية الصوتية، فوجدوا حقيقته تتمثل في حذف الهمزة مع بقاء حركتها[١٧]. ويظهر هذا في الكتابة الصوتية، لنطق همزة "سُئِل"، مثلا، بالتسهيل لا التحقيق:

suila ← su?ila

بحيث تحذف الهمزة(الصامت الحنجري الوقفي) –وتبقى حركتها– في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالضمة(حركة خلفية مغلقة)، ومتبوعة بالكسرة (حركة أمامية مغلقة). وذلك لإحداث المماثلة من خلال حذف الصامت، وهو همزة القطع، فيكون التماثل بين المقطعين الأول والثاني، بحيث يصبح التجاور بينهما ذا حد صائتي لا صامتي.

يتضح من ذلك أنّ تسهيل الهمزة هو في حقيقته الصوتية حذف للهمزة مع إبقاء حركتها، فعند نطق الحركتين (الضمة والكسرة) في "سُئِلَ" بعد حذف الهمزة التي تتوسطهما، تنطق كل حركة على حدة، فتكون الضمة نهاية المقطع الأول، وتكون الكسرة بداية المقطع الثاني[١٨]، وعند النطق بالكسرة يحدث تضييق أو شيء من الإغلاق، ولكن من غير قفل محكم للوترين الصوتيين، كما هو الحال عند نطق ما يسمى بهمزة الوصل، لذلك ارتأت الباحثة أن تعرض الأمثلة التي ذكرها الخليل على أنّها تسهيل أو تليين للهمزة ضمن مبحثي الحذف والإبدال.

المبحث الثالث: حذف الهمزة أحد أساليب التخفيف الصوتي في العربية

يُعد حذف الهمزة من الأساليب التي أشار إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي في التخفيف الصوتي في العربية، وقد عبّر عنها بمصطلحي "الطرح" و"الحذف". وقد رصد أمثلة عديدة من كلام العرب تُظهر الميل إلى حذف الهمزة، وبعد تحليل هذه الأمثلة، تبيّن أن حذف الهمزة يتم وفق نمطين رئيسيين: [١٩]:

([١٧]) انظر: استيتية، سمير شريف. القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية. اربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥م. ص٢٨. وسيشار إليه لاحقا باسم "القراءات القرآنية". وانظر: العزام. توجيهات الأزهري للظواهر الصوتية. ص٢٣.

([١٨]) تؤيد الباحثة ماتوصّل إليه الدرس الصوتي المعاصر من أنّ المقطع في العربية يمكن أن يبدأ بحركة، وممّن أشار إلى ذلك الدكتور تمام حسان في كتاب "**مناهج البحث في اللغة**". ط٢. دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤م. ص ١٣٢/ والدكتور داود عبده في كتاب "**أبحاث في اللغة العربية**". بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٣٧. ص ١٩/ والدكتور سمير استيتية في كتاب "**القراءات القرآنية**" ص٣١٨. إلا أنّ أصحاب هذا الرأي واجهوا رفضًا من غير واحد، كالدكتور عبدالصبور شاهين في كتاب "**في علم اللغة العام**". القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٤. ص ١٠٩/ والدكتور رمضان عبدالتواب في كتاب "**لحن العامة والتطور اللغوي**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٠م. ص ٤٩– ٥٠/ والدكتور فوزي الشايب في كتاب "**أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة في العربية**. اربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤م. ص ١٠٤.

([١٩]) تجدر الإشارة إلى أنّ هذا التقسيم توصلت إليه الباحثة العزام في رسالتها المشار إليها سابقا "توجيهات الأزهري للظواهر الصوتية في القراءات القرآنية". وهو ما ستعتمده في باقي التقسيمات التي توضح طرق تخفيف الهمز.

١- حذف الهمزة مع الحركة التي تليها، فيكون المحذوف شيئين: صامتًا وحركة.

٢- حذف الهمزة فقط، ونقل حركتها إلى الصامت قبلها.

١- حذف الهمزة مع الحركة التي تليها

في هذا النوع، يتم حذف الهمزة (وهي صامت حنجري وقفي) والحركة التي تليها مباشرة، أي أن المحذوف يتكوّن من صامت وصائت. وقدعرض الخليل في غير موضع[٢٠] ميل بعض العرب إلى حذف الهمزة –على هذا النمط–، منها قولهم: "رَيْتُ" بدلا من "رأيت"[٢١].

فقد وقع التغيير الصوتي بحذف الهمزة مع الفتحة التي بعدها، على النحو الآتي:

أ- حذف الهمزة.

raØaytu ⟵ ra?aytu

هنا حذفت الهمزة الواقعة بعد فتحة، وهي في نهاية مقطع صوتي، هذا يعني حذف الصامت الحنجري الوقفي.

ب- حذف الحركة.

raytu ⟵ raaytu

هنا حُذفت الفتحة التي كانت في بداية المقطع التالي، والمسبوقة بفتحة أخرى، مما أدى إلى اختزال المقطع الصوتي بشكل واضح، فبعد أن سقط جزء كبير من المقطع الثاني في أصل اكلمة الأصلية، أصبحت الكلمة مكونة من مقطعين فقط، مما يعني أن التخفيف في الهمز أثر على بنية الكلمة.

٢- حذف الهمزة فقط، مع نقل حركتها

وهذا هو النوع الثاني في التخفيف بالحذف، يتم فيه حذف الهمزة وحدها، دون إسقاد للحركة التابعة لها، بحيث يتم الاحتفلظ بها ولكن تُنقل إلى الحرف السابق. وهذا الأسلوب يُخفف من صعوبة نطق الهمزة.

ويحدث حذف الهمزة أحيانًا عندما يكون الحرف السابق لها ساكنًا غير متحرك، وفي بعض المواضع التي رصدها الخليل بن أحمد، يظهر أن الحذف وقع على الهمزة وحدها دون أن تتأثر الحركة

(٢٠) انظر مثلا: الخليل. العين. باب الراء (ر. ي. ح) ٢: ١٦٦، باب الميم (م. ل. ك) ٤: ١٦٦، باب اللام (ل. ي. س) ٤: ١١٢، باب الثاء (ث. ب. ى) ١: ١٩٧.

(٢١) انظر: الخليل. المرجع السابق. باب الراء (ر. أ. ى) ٢: ٨٣.

التابعة لها[٢٢]، ومن الأمثلة التي أوردها قول بعض العرب: "مَسَلَة" بدلًا من "مسْألة"[٢٣]، حيث تم حذف الهمزة ونُقلت حركتها إلى الحرف الساكن الذي يسبقه.

فالتغير الصوتي الذي حدث هو حذف الهمزة، فبالتالي انتقلت حركتها إلى الساكن قبلها، ويمكن توضيح ذلك بالخطوات الآتية:

١- حذف الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي):

masØalah ◄——— mas?alah

في هذه الخطوة، حُذفت الهمزة الواقعة بين صامت ساكن في نهاية مقطع وحركة في بداية المقطع التالي.

٢- تنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

بعد حذف الهمزة، تُنقل حركتها إلى الحرف الساكن الذي يسبقها، فيتحول السكون إلى حركة، ويُعاد تشكيل المقطع الصوتي بطريقة أكثر سلاسة؛ بحيث كان المقطع الأول في الكلمة الأصلية مقطع متوسط، ويتلوه مقطع قصير، ولكن بعد الحذف ونقل الحركة، تحول المقطع المتوسط إلى قصير يماثل المقطع الذي يليه.

يتضح من خلال التحليل أن العرب تعاملوا مع الهمزة بمرونة واضحة، فكان حذفها أو تخفيفها استجابة طبيعية لصعوبتها في النطق، وهذا يُبرز قدرتهم على تعديل البنية الصوتية للكلمة دون إخلال بالوظيفة أو الوضوح.

وبعد تتبع وصف الخليل لهذ الظاهرة نجد أنه، رغم دقته في رصد الظواهر الصوتية، لم يُشر صراحة إلى مسألة نقل الحركة بعد حذف الهمزة، وهو ما يثير تساؤلًا مشروعًا: هل كان ذلك نتيجة تركيزه على تتبع التغيرات الصوتية الكبرى دون التوقف عند تفاصيلها الدقيقة؟ أم أنه كان يُعنى بالصوامت أكثر من الصوائت في مثل هذه المواضع؟

وقد التفت إلى هذه النقطة سيبويه، الذي قدّم وصفًا أكثر تفصيلا، في قوله[٢٤]: "واعلم أنّ كل همزةٍ متحركة كان قبلها حرفٌ ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها"، فسيبويه لم يشر إلى الحذف فقط، بل نبّه إلى ما يترتب على هذا الحذف من إعادة توزيع الحركات، الأمر الذي يعكس وعيًا صوتيًا متقدمًا.

---

(٢٢) انظر مثلا: الخليل. العين. باب الهمزة (أ. ي. س) ١: ١٠٦.

(٢٣) انظر: الخليل. المرجع السابق. باب السين (س. أ. ل) ٢: ٢٠٦.

(٢٤) سيبويه. الكتاب. ٣: ٥٤٥.

وهنا تقف الدراسة تقف حائرة أمام تفاوت الخليل في عرض مادته الصوتية داخل معجم "العين". ففي بعض المواضع، يُفصّل الحديث عن ظاهرة صوتية، ويشرح أصل الكلمة والتطور الذي طرأ عليها، ويُعلّل ذلك التغير. وفي مواضع أخرى، يكتفي بالإشارة إلى الكلمة التي وقع فيها التغيير دون شرح أو تحليل، كحديثه عن الإبدال مثلاً، ولا يُقصد بذلك إبدال الهمزة فقط، بل الإبدال على مستوى الصوامت ككل بوصفها قضية صوتية بارزة في العين؛ إذ يفصل الحديث في بيان الإبدال في بعض الكلمات، فيشير إلى أصل الكلمة، والتطور الصوتي الذي حدث، والعلة التي أدت إلى ذلك، فتزعم حينها أنّ الخليل يركز على التغيّر الحاصل في اللغة وكيفية ذلك التغيّر، إلا أنك تجده في مواضع أخرى يشير إلى الكلمة التي حدث فيها إبدال، دون الحديث عن أي شيءٍ آخر، فتظنّه يركز على رصد التغيّر دون بيان الكيفية. مما يُوحي –أحيانًا– بأنه يُركّز على رصد الظاهرة، وأحيانًا أخرى على تفسيرها. وهذا التفاوت يجعل من الصعب الجزم باتجاه منهجي واحد عند الخليل.

المبحث الرابع: إبدال الهمزة كأحد أساليب التخفيف الصوتي

يُعدّ إبدال الهمزة أحد أساليب التخفيف الصوتي، حيث تُقلب إلى حرف من جنس الصوت المجاور لها، ثم تُدمج فيه. وتتم هذه العملية وفق قاعدة صوتية واضحة:

إذا سُبقت الهمزة بفتحة، تُقلب إلى ألف. وإذا سُبقت بضمة، تُقلب إلى واو. وإذا سُبقت بكسرة، تُقلب إلى ياء.

وفي ذلك يقول ابن يعيش[٢٥]: "أن تزيل نبرتها فتلين، فحينئذٍ تصير إلى الألف والواو والياء، على حسب حركتها وحركة ما قبلها"، فهذه التغيرات جاءت في كلام العرب لتحقيق نوع من المماثلة الصوتية بين الهمزة والصوت المجاور لها، الأمر الذي يؤدي إلى تسهيل النطق. ويمكن تأطير هذه التحولات التي أشار إليها الخليل بن أحمد ضمن قواعد صوتية عامة، وتندرج تحتها الحالات التي تنطبق عليها هذه الظاهرة، على النحو الآتي:

١- تحول الهمزة إلى فتحة: مماثلة صوتية تؤدي إلى المد

رصد الخليل بن أحمد أثناء عرضه للمادة ظاهرة صوتية تتمثل في قلب الهمزة إلى فتحة، وذلك لتماثلها مع الفتحة التي تسبقها. ففي كلمة "وأق" مثلا، يشير إلى أن بعض العرب يهمزونها، فيقولون

(٢٥) ابن يعيش. شرح المفصل. ٩: ١٠٧.

"وَأْق" بالتحقيق على الأصل، بينما يلينها آخرون، فينطقونها دون همز، بالتخفيف. يقول الخليل[٢٦]:"واق: الواقة من طير الماء، عراقية. ومنهم من يهمز الألف، لأنّه ليس في كلام العرب واو بعدها ألف أصلية في صدر البناء إلا مهموزة، نحو، الوأْلة، والوأْقة، فلين الهمزة، قال: أبوك نهاريٌّ وأمّك واقةٌ"

وهنا نجد الخليل أثناء رصده للظاهرة، يُدرجها ضمن اختلاف اللهجات، كما في كلمات مثل "يأجوج" و"مأجوج"، التي تُقرأ بالهمز وبغيره. يقول[٢٧]: "ويأجوج ومأجوج يقرأ بالهمز وبغير الهمز، ومن لم يهمز قال: هو مأخوذ من يجّ ومجّ على بناء فاعول". وكذلك كلمة "يأفوخ" يقول فيها[٢٨]: "من همز اليأفوخ فهو على يَفْعول، ومن لم يهمز فهو على فاعول، والهمز أحسن".

وهنا ترى الدراسة أن التحول الصوتي في لهجة من خفف الهمزة، يُفسَّر على أساس المماثلة التقدمية، أي أن الفتحة الواقعة قبل الهمزة أثّرت عليها، فتم قلب الهمزة إلى فتحة مماثلة، مما أدى إلى التقاء فتحتين متتاليتين. في كلمة "وأق" مثلًا، نجد:

وَأق ⟵ و–َ –َ ق.

waaq ⟵ wa?q

تحولت الهمزة (صوت حنجري وقفي) إلى فتحة (حركة أمامية مفتوحة). وهذه الفتحة جاءت بعد فتحة أخرى على الواو، فاجتمعتا لتشكّلا حركة مد طويلة هي الألف (aa) أو .(ā)

واجتماع الحركتين كوّن صوتًا ممدودًا، وهو ما يُعرف في علم الأصوات بـ"حركة المد"، نتيجة مماثلة صوتية مباشرة بين الحركتين.

ما حدث في كلمة "وأق" ينطبق أيضًا على كلمات مثل "يأجوج" و"مأجوج"، حيث يُلاحظ أن التخفيف أو الإبدال لا يقتصر على الحذف أو التليين، بل يشمل أيضًا قلب الهمزة إلى حركة، ثم مماثلتها مع السياق الصوتي المجاور.

٢- تحول الهمزة إلى ضمة: مماثلة صوتية تؤدي إلى مد بالواو.

يرصد الخليل بن أحمد ظاهرة صوتية أخرى في نطق بعض العرب للكلمات التي تضم همزة ساكنة مسبوقة بضم، مثل كلمة "الرؤيا"، حيث يُليّنون الهمزة فينطقونها "رويا"[٢٩]، دون تحقيق للهمز. وتُفسّر

---

(٢٦) الخليل. العين باب الواو (و. و. ق) ٤: ٤٠٦.

(٢٧) الخليل. العين. باب الهمزة (أ. ج. ج) ١: ٥٧.

(٢٨) الخليل.المرجع السابق. باب الهمزة (أ.ف.خ) ١: ٧٥.

(٢٩) انظر: الخليل. العين. باب الراء (ر.أ. ي) ٢: ٨٣.

الدراسة هذا التغيير الصوتي على أنه مماثلة تقدمية؛ بحيث تقلب الهمزة إلى ضمة، تماثل الضمة التي تسبقها، أي ضمة الراء، مما يؤدي إلى التقاء ضمتين متتاليتين تُشكّلان حركة مد طويلة، هي الواو. هكذا:

رُؤيا ⟵ ر ـُ ـُ يا

ruuyaa ⟵ ru?yaa

تحولت الهمزة (صوت حنجري وقفي) إلى ضمة (حركة خلفية مغلقة)، لتماثلها مع حركة الراء التي تسبقها. والمماثلة هنا تقدمية مباشرة كلية، حيث أثّرت الحركة السابقة على الصوت التالي بشكل كامل، فاندمجت الضمتان لتُنتجا حركة مد طويلة، هي واو المد (uu) أو .(ū)

وبناء على ذلك يمكن القول إنّ التليين الذي أشار إليه الخليل، في مثل هذه المواضع، هو في حقيقته الصوتية تحوّل الهمزة إلى حركة من جنس الحركة التي تسبقها، ثم إدغامهما معًا، لتصبح الحركتان حركة واحدة طويلة. ومن منظور علم الأصوات الحديث، يُعد هذا التحول أمرًا طبيعيًا من الناحية الفسيولوجية. فاللسان عند نطق الهمزة يتخذ وضعًا قريبًا من الوضع الذي يتخذه عند إنتاج الحركات الصوتية، خاصة إذا لم يحدث انغلاق تام للوترين الصوتيين. في هذه الحالة، لا يُنتج الصوت همزة قطع، بل يتحول إلى حركة صوتية[٣٠]، تتماهى مع الحركة المجاورة لها. وهذا يُظهر دقة العرب في التعامل مع الأصوات، وسعيهم الدائم نحو التيسير الصوتي دون الإخلال بالبنية اللغوية.

٣- تحول الهمزة إلى ياء: مماثلة صوتية تؤدي إلى إدغام وتشديد.

يرصد الخليل بن أحمد ظاهرة صوتية أخرى في لهجات بعض العرب التي تميل نحو التخفيف، حيث يُبدلون الهمزة ياء، إذا كانت متبوعة بياء نصف حركة، في كلمة "رؤيا"، فيقولون "رِيّا". ويشرح ذلك بقوله[٣١]: "ومن حوّل الهمز فإنه يجعلها ياءً، ثم يكسر فيقول: رأيت رِيًّا حسنة، والرِيُّ ما رأت العين".

ويمكن توضيح التغير الصوتي بالخطوات الآتية:

أ. تحويل الهمزة إلى ياء (نصف حركة)

وهذا يتضح بالكتابة الصوتية:

ruyyaa ⟵ ru?yaa

(٣٠) انظر: استيتية. القراءات القرآنية. ٢٩.

(٣١) انظر: الخليل. العين. باب الراء (ر. أ. ي) ٢: ٨٣.

هنا تم تحول الهمزة، وهي صوت حنجري وقفي، إلى ياء خفيفة (نصف حركة أمامية)، لتماثلها مع الياء التي تليها مباشرة. وهذا النوع من المماثلة يُعرف بالمماثلة الرجعية المباشرة، حيث يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه.

ب. تحول حركة الراء من ضمة إلى كسرة.

ويمكن توضيح ذلك بالكتابة الصوتية:

riyyaa ← ruyyaa

تحولت الضمة (حركة خلفية مغلقة) على الراء إلى كسرة (حركة أمامية مغلقة)، لتتناسب وطبيعة الياء التي تليها، مما يُحقق انسجامًا صوتيًا أكبر داخل الكلمة.

ج. إدغام الياء المنقلبة عن الهمزة مع الياء الأصلية

رِ يْ يا ⟵ رِيّا

الشكل النهائي: riyyaa → رِيّا

هنا الياء الناتجة عن إبدال الهمزة اندمجت مع الياء الأصلية، فشكّلتا ياء مشددة، تُنطق بوضوح وتُعطي الكلمة إيقاعًا أكثر سلاسة.

يلحظ في هذا التحول كيف أن العرب تعاملوا مع الهمزة بمرونة صوتية، لأجل التخفيف، فحين تقع بين حركات أو أصوات متقاربة، تُبدل بما يُناسب السياق الصوتي المجاور، مما يُسهل النطق.

٤- تحول الهمزة إلى ياء لتماثل الكسرة السابقة: مماثلة تقدمية.

يرصد الخليل بن أحمد في معجم العين نمطًا صوتيًا آخر يتمثل في إبدال الهمزة ياء[٣٢]، وذلك في سياقات صوتية محددة، أبرزها حين تكون الهمزة مسبوقة بكسرة. ومن الأمثلة التي أوردها قول بعض العرب "رِيات" جمعًا لكلمة "رِئة"، بدلًا من "رِئات"، حيث تم تحويل الهمزة إلى ياء لتتناسب مع الكسرة التي تسبقها.

يقول الخليل في هذا السياق[٣٣]: "وإنما تكتب الهمزة على التليين لأنّها لا حظّ لها في الهجاء والكتابة، إنّما تُردّ في ذلك إلى الياء والواو والألف اللّيّنة، فإذا جاءت في كَلِمةٍ فليّنها، فإنْ صارت ياءً فاكتُبْها ياءً نحو: الريات".

(٣٢) انظر مثلا: الخليل. العين. باب الهاء (هـ. ن. أ) ٤: ٣٢٥.

(٣٣) الخليل. المرجع السابق. باب الثاء (ث. ب. ا) ١: ١٩٧.

يرى الخليل أن الهمزة غير محظوظة في الهجاء والكتابة، لأنها صوت سريع التحول. وباستقرائه لكلام العرب وجد أنّها قد تصير ياءً، أو واوًا، أو ألفًا ليّنة، بحسب السياق الصوتي، وأشار إلى أنّها تكتب بالهيئة التي تصير عليها، ومن منظور علم الأصوات الحديث، يمكن تفسير هذا التحول على النحو الآتي:

riyah ⟵ ri?ah

riyaat ⟵ ri?aat

تحولت الهمزة (صامت حنجري وقفي) الواقعة في بداية المقطع، إلى ياء خفيفة (نصف حركة أمامية)، لتماثلها مع الكسرة التي تسبقها مباشرة. والمماثلة هنا تقدمية مباشرة.

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن التغيير الذي طرأ على الهمزة يُمكن تحليله صوتيًا على أنه نمط من المماثلة الصوتية، حيث تُبدل الهمزة لتنسجم مع الحركة السابقة، مما يؤدي إلى تسهيل النطق وتحقيق الانسجام الإيقاعي داخل الكلمة.

٥- تحول الهمزة إلى ياء لتماثل الكسرة التالية.

يرصد الخليل أمثلة من كلام العرب على تحول الهمزة إلى ياء إذا جاء بعدها كسرة مباشرة، منها قوله[٣٤]: "وحينئذٍ: تبعيد لقولك الآن فإذا باعدوا بين الوقت باعدوا بإذ، فقالوا: حينَئِذٍ، **خفّفوا الهمزة فأبدلوها ياءً** فكتبوا حينيذٍ".

يرى الخليل أنّ الهمزة في كلمة "حينئذٍ" خففت بإبدالها ياءً، كما وردت على لسان بعض العرب، وبتحليل هذا التغير تبيّن أنّ سببه إحداث مماثلة بين الصامت (الهمزة) والصائت (الكسرة) الذي يليه، فالتغير الصوتي الذي حدث على الهمزة هو إبدالها ياءً نصف حركة لتماثل كسرة بعدها، على النحو الآتي:

ħīnayiðin ⟵ ħīna?iðin

وقعت الهمزة، وهي صامت حنجري وقفي، في بداية مقطع صوتي، وجاء بعدها كسرة (حركة أمامية مغلقة). ولإحداث انسجام، تم إبدال الهمزة بياء خفيفة (نصف حركة أمامية)، مما يُحقق مماثلة تقدمية مباشرة بين الصوتين.

([٣٤]) الخليل. المرجع السابق. باب الحاء (ح. ي. ن) ١: ٣٧٩- ٣٨٠.

٦- إبدال الهمزة الثانية ياء في الهمزتين المتجاورتين.

تُعد ظاهرة التقاء همزتين متجاورتين من أبرز القضايا الصوتية التي تناولها علماء اللغة والقراءات، سواء وقعتا في كلمة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿أأنذرتهم﴾ [البقرة: ٦]، أم في كلمتين متجاورتين، مثل: ﴿هؤلاء إن﴾ [البقرة: ٣١]. وقد تأتي الهمزتان متفقتين في الحركة، كما في ﴿أئمة﴾ [التوبة: ١٢]، أو مختلفتين، كما في ﴿يشاءُ إلى﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقد رصد الخليل بن أحمد في العين مذاهب عدة للعرب في التعامل مع هذا التجاور الصوتي، منها: تحقيق الهمزتين معًا، أوتحقيق الأولى وتخفيف الثانية، أو إدخال ألف بينهما مع تحقيقهما، أو مع تخفيف إحداهما، أو إبدال إحداهما وتحقيق الأخرى.

وقد ذكر الخليل أمثلة على بعض التغيرات الصوتية التي تطرأ على الهمزتين المتجاورتين[٣٥]، منها ما أشار إليه في الهمزتين أولاهما مفتوحة والأخرى مكسورة.

يقول الخليل[٣٦]: " الأئمة على زنة الأعمّة. إلاّ أنّ من العرب من **يطرحُ** الهمزةَ ويكسِرُ الياءَ على طَلَب الهَمْزة".

وهنا يرى الخليل أن التغير الصوتي يتم على مرحلتين: أولًا حذف الهمزة الثانية، وأشار إلى ذلك بقوله: "طرح"، ثم كسر الياء التي تليها. لكن الدراسة ترى أنّ ما حدث هو تحوّل الهمزة الثانية إلى ياء نصف حركة، بعملية صوتية واحدة، ناتجة عن مماثلة رجعية مباشرة، حيث أثّرت الكسرة التالية على الهمزة السابقة. ويمكن تأييد ذلك بالرجوع إلى ما قاله علماء اللغة والقراءات، مثلا، في قراءة بعض القراء لكلمة "أئمة" في قوله جل وعز: ﴿أئمة الكُفْرِ﴾[التوبة١٢] فقد قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، ويعقوب: "أيمة" بهمزة واحدة، بعدها ياء، وقال الأزهري في ذلك[٣٧]: "من قرأ "أيمة" بهمزة واحدة، وياء بعدها فإنّه كره الجمع بين همزتين فجعل الأخيرة ياء"، وكذلك "أينَّك"[يوسف٩٠][٣٨] و"أيذا"[الرعد٥] و "أين ذكرتم"[يس١٩][٣٩]

---

(٣٥) انظر مثلا: الخليل. المرجع السابق. باب الهمزة (أ. م. ر) ١: ٨٥.

(٣٦) الخليل. المرجع السابق. باب الهمزة (أ. م. م) ١: ٨٨.

(٣٧) الأزهري. علل القراءات ٢٤٩.

(٣٨) انظر: الأزهري. المرجع السابق ٢٧٧.

(٣٩) انظر: الأزهري. المرجع السابق ٢٢٢.

هذا يعني أن الهمزة الثانية، الواقعة في بداية المقطع، تحولت إلى ياء خفيفة (نصف حركة أمامية)، بسبب تماثلها مع الكسرة التي تليها. على النحو الآتي:

?ayimmah ⟵ ?a?immah

حيث تحولت الهمزة الواقعة في بداية المقطع إلى ياء نصف حركة، في الموقع الذي كانت فيه متبوعة بكسرة. والمماثلة رجعية مباشرة.

ونلمح في كلام الخليل عن الهمزتين المتجاورتين ميله إلى التحقيق فيهما على الأصل؛ إذ يقول[٤٠]: "فأمّا في الأئمة فالتَخفيف قبيحٌ". وأما العلة الصوتية التي أدت إلى هذا التغير فهي كما يرى الخليل أنّ العرب تكره الجمع بين الهمزتين، فتلجأ إلى التحويل[٤١].

فمن الناحية الصوتية، يمكن القول إن كراهية العرب للجمع بين همزتين متتاليتين دفعتهم إلى التيسير، عبر الإبدال أو الإدغام، مما يُظهر حسًا لغويًا فطريًا يسعى إلى سهولة النطق.

٧- إبدال الهمزة هاء: تخفيف صوتي قائم على تقارب المخرج.

يرصد الخليل بن أحمد في العين ظاهرة صوتية أخرى متعلقة بتخفيف الهمزة، وهي إبدال الهمزة هاء، سواء كانت همزة مفردة أم ضمن همزتين متجاورتين. ويُعلل هذا التحول بقوله[٤٢]: "الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رفّه عن الهمز صار نفسًا، تحوّل إلى مخرج الهاء، ولذلك استخفّتِ العربُ إدخال الهاءِ على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهَراقَ، وأيهات وهيهات".

هنا يرى الخليل أن الهمزة، بسبب طبيعتها الصوتية الصعبة، تميل إلى التخفيف، فتتحول إلى الهاء التي تشترك معها في المخرج الحنجري، وهذا التقارب في المخرج يُفسّر ميل العرب إلى هذا الإبدال، كما في لهجة أهل الحجاز، الذين كانوا يقولون في الاستفهام: "ها إنك زيد؟" بدلًا من "أإنك زيد؟"، كما يذكر الخليل، إذ يقول[٤٣]: "وأهل الحجاز يقولون في الإجابة: ها خفيفة وفي هذا المعنى يقولون: ها بدلٌ من ألف الاستفهام، تقول: ها إنّك زيدٌ؟ معناه أإنك زيدٌ؟ أو يقصر فيقال، هإنّك زيد؟".

وبتحليل هذه الظاهرة التي رصدها الخليل في مادته نجد أن إبدال الهمزة بالهاء في لهجة الحجازيين جاء على وجهين:

---

(٤٠) الخليل. العين. باب الهمزة (أ. م. م) ١: ٨٨.

(٤١) انظر: الخليل. المرجع السابق. باب الهمزة (أ. م. ر) ١: ٨٥.

(٤٢) الخليل. المرجع السابق. باب الهاء (هـ. ت. ت) ٤: ٢٨٩.

(٤٣) الخليل. العين. باب الهاء (هاء) ٤: ٢٨٤.

- إبدال مباشر دون إشباع للحركة.

ʔaʔinnaka تتحول إلى haʔinnaka

وهنا تحولت الهمزة الأولى إلى هاء، الواقعة بداية المقطع، دون تغيير في طول الحركة.

- إبدال مع إشباع الحركة (مطلها)

ʔaʔinnaka تتحول إلى haaʔinnaka

وهنا تم إشباع الفتحة على الهمزة الأولى، فتحولت إلى ألف مد، مما يُوهم بإدخال ألف بين الهمزتين، لكن الكتابة الصوتية تُظهر أن التغيير ناتج عن إطالة الحركة دون أن يكون هناك إدخال لحرف بين الهمزتين.

وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة بقوله(٤٤): "ومن العرب ناسٌ يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً إذا التقتا، وذلك أنّهم كرهوا التقاء همزتين". لكن الدراسة ترى أن ما وصفه القدماء بأنه "إدخال ألف" هو في الحقيقة مطل للحركة، أي إشباع الفتحة حتى تُنطق كألف مد، كما في:

ʔaʔinnaka → ʔaaʔinnaka

haʔinnaka → haaʔinnaka

فالكتابة الصوتية كما هو واضح تشير إلى أن التغير يتمثل في إطالة حركة الهمزة الأولى، وليس إدخال ألف بين الهمزتين.

خاتمـــة

بعد استقراء القضايا الصوتية المتعلقة بالهمزة في كتاب العين، توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

- رصد الخليل في كتابه مذاهب العرب في نطق الهمزة، وبيّن أن العرب تعاملت معها بمرونة، فطرأت عليها تغيرات عديدة، مما يجعل كتاب العين مرآة حقيقية للهجاتهم.
- تناول الخليل مخرج الهمزة في غير موضع، فتارة يصفها بأنها هوائية لا حيّز لها، وتارة يراها صوتًا حلقيًا يخرج من أقصى الحلق، مما يُظهر تباينًا في رؤيته الصوتية.
- بيّن الخليل أن الهمزة عرضة للتغيرات الصوتية، بسبب صعوبة نطقها وبُعد مخرجها، وهو ما يفسّر كثرة التخفيف والإبدال في لهجات العرب.

(٤٤) سيبويه. الكتاب ٣: ٥٥١.

- بيّن البحث أن إدخال ألف بين الهمزتين، كما ورد عند بعض العلماء، هو في حقيقته إشباع لحركة الهمزة الأولى، وليس إدخالًا لحرف مستقل، كما توهم بعض المتقدمين في تحليلهم للظاهرة.
- أوضح البحث أن همزة "بين بين"، أو التسهيل، هو في حقيقته الصوتية حذف للهمزة مع إبقاء حركتها، مع تضييق في موضع النطق، مما يُنتج صوتًا وسطًا بين الهمزة والحركة.
- أبرز الخليل التغيرات الصوتية في الكلمات المهموزة، وبيّن كيف سعت العرب إلى تحقيق انسجام صوتي، عبر التخفيف أو الإبدال، خاصة عند التقاء أصوات متجاورة، بإحداث مماثلة سواء أكانت تقدمية أم رجعية.
- اكتفى الخليل غالبًا بالإشارة إلى لهجات العرب، دون التعمق في العلل الصوتية، أو أسباب التغيرات، مما يجعل كتابه مصدرًا غنيًا للرصد اللغوي، لكنه يتطلب تحليلا من منظور صوتي حديث.

قائمة المصادر والمراجع

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. تحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.
- ------. **القراءات وعلل النحويين فيها**. ط١. تحقيق نوال بنت إبراهيم الحلوة. د.م: د.ن، ١٩٩١م.
- استيتية، سمير شريف. **القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية**. اربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥م.
- ------. **اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج**. اربد: عالم الكتب الحديث. عمان: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٨م.
- بشر، كمال. **علم اللغة العام_ الأصوات العربية**. القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٧م.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن أحمد. **غاية النهاية في طبقات القراء**. تحقيق برجشتراسر. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣٢م.
- حسان، تمام. **مناهج البحث في اللغة**. ط٢. دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤م.
- خليل، إبراهيم. **في اللسانيّات ونحو النص**. ط١. عمان: دار المسيرة، ٢٠٠٧م.
- سيبويه. أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر. **الكتاب**. تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل. ١٩٩٠م.
- شاهين، عبدالصبور. **في علم اللغة العام**. القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٤م.

- الشايب، فوزي حسن. **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية**. اربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤م.
- عبدالتواب، رمضان. **لحن العامة والتطور اللغوي**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٠م.
- عبده، داود. **أبحاث في اللغة العربية**. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٣٧م.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى. **السبعة في القراءات**. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م.
- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء. **شرح المفصل**. القاهرة: دار الطباعة المنيرية، د.ت.

البحوث الجامعية:

- استيتية، سمير شريف. **الحركات بين المعايير النظرية والخصائص النطقية**. مجلة البلقاء للبحوث والدراسات. مجلد٢. عدد١. ١٩٩٢م.
- مسعد، عبدالحميد عليوة. **حروف العلة دراسة لغوية**. مجلة علوم اللغة. مجلد٥. عدد٤. ٢٠٠٢م.

الرسائل العلمية:

العزام، نازك نبيل محمد. **توجيهات الأزهري للظواهر الصوتية في القراءات القرآنية_ كتاب القراءات وعلل النحويين فيها أنموذجا**. رسالة ماجستير. جامعة اليرموك. ٢٠١٠